Sana'a University Journal of Human Sciences
مجلة جامعة صنعاء للعلوم الإنسانية
Vol. 3 | No. 8 | Page 379 – 397 | 2024
https://journals.su.edu.ye/index.php/jhs
ISSN : 2958-8677

إدارة الأزمات عند الإمام تقي الدين أحمد المقريزي في كتابه (إغاثة الأمة بكشف الغمة)

Crisis management according to Imam Taqi Al-Din Ahmed Al-Maqrizi in his book)Eghathat Al Umma Fi Kashf Al Ghumma)

أكرم محمد العرشاني
باحث – إدارة أعمال– مركز إدارة الأعمال
جامعة صنعاء– اليمن

Akram M. Alarshan
Researcher - Business Administration
Business Administration Center
Sana'a University -Yemen

الملخص:

هدفت الدراسة إلى التعرف على إدارة الأزمات عند الإمام المقريزي في كتابه (إغاثة الأمَّة بكشف الغمة)، والتعريف بالإمام المقريزي بوصفه أحد أبرز علماء المسلمين، وإبراز مكانته العلمية، والسعي إلى الوقوف على كتاب (إغاثة الأمة بكشف الغمة)، وما يحتويه من مادة علمية، وبيان منهج المؤلف فيه، حيث استخدمت الدراسة المنهج النوعي بأسلوب تحليل المحتوى الاستقرائي والاستنباطي، وقد توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج أهمها: مساهمة المقريزي في الفكر الإداري، وسبقه في التأسيس للكثير من النظريات الاقتصادية، وتأصيله لإدارة الأزمات وتقديمه تحليلًا للظواهر الاقتصادية والاجتماعية والسياسية المختلفة من خلال تبيين أسبابها ونتائجها بما يحقق البناء التكاملي للنظرية الإدارية, واهتمام المقريزي بالمشكلات الاقتصادية الناتجة عن الأزمات المختلفة، ودراسة ظواهر تلك الأزمات والمحن، والوقوف على تداعيتها الاقتصادية والسياسية, إضافة إلى اتفاق المقريزي في كتابه "إغاثة الأمة بكشف الغمة" في تأصيله للأزمات وبيان أسبابها، والتفصيل في عواملها وأطوار نشوئها، واختلاف شدتها وتأثيرها، مع النظريات الحديثة لإدارة الأزمات.

الكلمات المفتاحية: إدارة الأزمات، المقريزي، إغاثة الأمة بكشف الغمة.

Abstract:

The study aimed to identify crisis management according to Imam Al-Maqrizi in his book (Eghathat Al Umma Fi Kashf Al Ghumma), introducing Imam Al-Maqrizi as one of the most prominent Muslim scholars, highlighting his scientific standing, and seeking to find out the book (Eghathat Al Umma Fi Kashf Al Ghumma), and the scientific material it contains, and a statement of the author's approach. The study used a qualitative approach using inductive and deductive content analysis. The study reached many results, the most important of which are: Al-Maqrizi's contribution to administrative thought, his precedence in establishing many economic theories, his rooting of crises, and his presentation of an analysis of various economic, social, and political phenomena by clarifying their causes and consequences in order to achieve the integrated construction of administrative theory, and Al-Maqrizi's interest in the economic problems resulting from various crises, studying the phenomena of those crises and tribulations, and identifying their economic and political repercussions, in addition to Al-Maqrizi's agreement in his book Relief for the Nation by Revealing the Grief in his explanation of the crises and explaining their causes, and detailing their factors and stages of emergence, and the differences in their severity and impact, with modern theories of crisis management.

Keywords: Crisis management, Al-Maqrizi, Eghathat Al Umma Fi Kashf Al Ghumma.

المقدمة

جعل اللهُ الإنسانَ خليفته في الأرض، فكان من لوازم هذه الخلافة تحقيق معنى العبادة، وعمارة الأرض مع نفاذ سنة الله تعالى في الابتلاء والامتحان "الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ" سورة الملك (2)، لذلك فقد كان الإنسان منذُ وجودِهِ الأول حتى اليوم محفوفًا بالأزمات المتنوعة والمختلفة، التي تحمل معها مزيدًا من التحديات، متباينة في الأسباب والنتائج، مختلفة من حيث احتمالية حدوثها وشدة وقعها. وعلى الرغم من أن بعض هذه الأزمات تنتج عن عوامل طبيعية يصعب على الانسان

السيطرة عليها أو منعها، إلا أنه من خلال الأدوات والأساليب الإدارية قادر على تكييفها والاستفادة منها، غير أن العوامل البشرية وراء هذه الأزمات قد تكونُ أكثر صعوبة من العوامل الطبيعية في التعامل معها، إذ إنها لا تنفكُ عن تأجيج الصراع، ونشر الخراب والدمار.

وتمثل ظاهرة الأزمات إحدى حقائق العلاقات منذ فجر التاريخ، وعالم اليوم يتميز بالمتغيرات السريعة التي أسفرت عن توترات شتى. وعلى الرغم من التقدم الحضاري وثبات الدعائم والأسس التي تقوم عليها العلاقات، إلا أن العالم يتسم بتعدد الأزمات الناجمة عن اختلال توازنات القوى الكبرى مع سعي القوى الصغرى إلى تحقيق المزيد من الاستقلال والنمو، مما أدى إلى حدوث صراعات وتحالفات تمثلت في أزمات عالمية، إقليمية ومحلية ذات طبيعة زمنية ومكانية مركبة ومعقدة. ولقد كان لتفاعل العلاقات بين القوى والكيانات المختلفة وصراعاتها الخفية والعلنية دورًا في نقل مراكز السيطرة والهيمنة، حيثُ تعمل الدول المتقدمة على امتلاك عناصر القوة المختلفة والارتقاء بوسائلها المادية فإن الدول النامية تختلف أزماتها، بسبب إفرازاتها المتناقضة الناتجة عن الحقبة الاستعمارية بدلًا عن طموحات الاستقلال والتنمية. وإذا كانت الدول المتقدمة تتعامل مع أزماتها بمناهج علمية، فإن الدول النامية ترفض اتباع هذه الأساليب في مواجهة أزماتها، مما يجعل الأزمة أشد عمقًا وأقوى تأثيرًا بسب التفاعل الواضح بين عدم إتباع المناهج العلمية في التعامل مع الأزمات وبين الجهل بتلك المناهج والتمسك بتلك الأساليب العشوائية.

وفي حين أن التاريخ مليءٌ بنماذج عديدة من الأزمات الإدارية والسياسة والاقتصادية وأسبابها وطرق معالجتها، فإن التراث الإسلامي أيضًا زخر بنماذج فكرية عديدة شكلت فكرا متراكما يمكن الرجوع إليه ودراسته وتحليله واستنباط المنهج السليم منه وتأصيل الحلول والمعالجات. ولقد سجَّل المؤرخون في مؤلفاتهم عديدًا من هذه الكوارث والأزمات، كما حاول بعضهم الكشف عن أسبابها وتحليلها وتحديد مظاهرها والآثار المترتبة عليها ووضع الحلول والمعالجات، ولعل من أبرز هؤلاء: المقريزي (766-845هـ \ 1364-1441م) في كتابه (إغاثة الأمة بكشف الغمة)، والذي يعد من أبرز وأوائل الذين كتبوا عن الأزمات وأسبابها.

قدَّم المقريزي دراسة تاريخية ناقدة تحليلية للكوارث والمحن المختلفة، التي كان من أهم أسبابها سوء إدارة الأزمات والتعامل معها، وأبرز نتائجها غلاء المعيشة واضطراب النظام الاقتصادي وغيرها. وفي حين ذهبت معظم الدراسات إلى دراسة الفكر الاقتصادي لدى المقريزي في كتابه (إغاثة الأمة بكشف الغمة) الذي قدم من خلاله نظريات اقتصادية في النقد والغلاء والتضخم وغيرها، إلا أن المقريزي أيضًا كان له منهجه في استبصار وإدارة الأزمات من منظور إداري وجب على الباحثين الوقوف عليه وتبيينه، ومن ذلك قدرته على التنبؤ بحدوث الأزمات وإعمال التخطيط لإدارتها، كما أنه قد بيَّن أيضًا أن الأزمات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي مرت بها

مصر والعالم الإسلامي ما كانت إلا نتاجًا لأسباب وعوامل أخرى.

وعليه، وتأسيسًا على ما سبق، فإن هذه الدراسة تسعى إلى الكشف عن إدارة الأزمات عند المقريزي في كتابه (إغاثة الأمة بكشف الغمة).

1.1. مشكلة الدراسة:

يمثل الفكر الإداري رافدًا من روافد الفكر الاقتصادي والحياة الاقتصادية اللذين يعدان مظهرين مهمين في حياة المجتمع وواقع التاريخ، ودراسة الفكر الإداري إلى جانب الفكر الاقتصادي عند المقريزي من المواضيع التي تعين على تدقيق كثير من الأفكار في ميادين العلوم الإنسانية وخاصة منها الإدارية للأزمات. كما أن التجاهل بأن يبقى البحث في الفكر الإداري حبيسًا لنظريات وفلسفات تبدأ من تصورات أفلاطون وأرسطو ثم تقفز إلى القرن الثامن عشر متجاهلا ما بذل من مجهودات علمية في القرون الأخرى وخاصة في ظل الحضارة الإسلامية، وأنه ليس من المعقول أن نجد مؤلفات عن الفكر الإداري والاقتصادي تتجاهل ما أثبتته الدراسات العلمية من نظريات عن التنظيم الإداري والتعامل الاقتصادي في الفكر الإسلامي، ولقد كان من قدر (عبد الرحمن ابن خلدون) أن يعيش في القرن الثامن الهجري في بلاد المغرب العربي فكان المفكر والمبدع؛ وملك القدرة على النقد الايجابي والتحليل العلمي والإبداع، كما كان الأمر بالنسبة لتلميذه المقريزي، ويمكن من خلال الاطلاع على كتاب (إغاثة الأمة بكشف الغمة) لمعرفة مدى اهتمامه بالتأصيل إدارة الأزمات وأسبابها، ونتائجه التي كانت بارزة في الجوانب الاقتصادية في الحقب والفترات التاريخية المختلفة. وعلى ذلك، يمكن تحديد إشكالية البحث في:

ما مدى إسهامات المقريزي في إدارة الأزمات من خلال كتابه (إغاثة الأمة بكشف الغمة)؟

1.2. أسباب اختيار البحث:

هناك عدة أسباب لاختيار هذا البحث، أهمها: المكانة العلمية للمؤلف، كونه أحد علماء الأمة الاسلامية، وأحد العلماء الذين برعوا وبرزوا في علوم عديدة أبرزها العلوم الاقتصادية والإدارية، إضافة إلى القيمة العلمية لكتابه؛ كونه مصدرًا هامًا من المصادر التاريخية التي بينت أسباب الأزمات وعملت على دراستها ومعالجة نتائجها، وأن هذه الدراسة تعمل على إبراز شخصية الامام تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، وتوضيح منهجه في كتابه، كما أن الأهمية العلمية المطلقة لهذه النظريات قد أصبحت اليوم محدودة، والسبب يرجع إلى أن تطور الأبحاث الإدارية وقطعها مراحل مهمة وحاسمة يجعل الأبحاث الإدارية القديمة إما مهملة، أو أن تناولها بالبحث والدراسة لم ينصف أصحابها وخاصة في ظل الدراسات الاقتصادية الوضعية.

1.3. أهمية البحث:

ما يزيد من أهمية دراسة البعد الإداري في فكر المقريزي هو ارتباطه الزمني والتاريخي بفترة ما بعد الحروب الصليبية، وإبراز مدى تأثير هذه الحروب في نشوء الأزمات وتأثيرها على النظم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي كانت سائدة في دول البحر الأبيض المتوسط، فقد تناول المقريزي أثر هذه العلاقات التي كانت سائدة

وكيف تطورت، وبذلك فإن دراسة وتحليل آرائه الواردة في مؤلفاته والتركيز على كتابه: إغاثة الأمة بكشف الغمة، والذي يعتبر مرجعًا مهمًا من الناحية الإدارية والاقتصادية يحتاج إلى مزيد من الدراسة والتمحيص، وهو ما يبرز أهمية الموضوع. كما تكمن أهمية الموضوع أيضًا في السعي إلى إبراز جوانب التفكير الإداري عند المسلمين في المسائل والقضايا الإدارية والاقتصادية وصلة ذلك بالقضايا المعاصرة، ومدى إمكانية تقديمها لحلول عملية.

1.4. أهداف البحث:

أ- التعريف بالإمام المقريزي مؤلف كتاب (إغاثة الأمة بكشف الغمة) كأحد أبرز علماء المسلمين، وإبراز مكانته العلمية، والسعي إلى الوقوف على كتاب (إغاثة الأمة بكشف الغمة)، وما يحتويه من مادة علمية، وبيان منهج المؤلف فيه.

ب- إبراز أهمية الفكر الإداري عند المقريزي في وضع تصورات إدارية واقتصادية مبنية على الأخلاق والأحكام الشرعية في الإسلام، وتوضيح جانب من التفكير الاقتصادي في مجتمع كثر نشاطه التجاري والزراعي والصناعي وسيطرت مناهجه وسلوكياته الاقتصادية على العالم طيلة ثمانية قرون.

ج- إبراز مساهمة المقريزي في إدارة الأزمات من خلال اهتمامه بتحليل أسباب الظاهرة التاريخية بصفة عامة، وتركيزه المباشر على بعض المشاكل الاقتصادية بصفة خاصة.

1.5. منهج البحث:

اعتمدت هذه الدراسة على المنهج النوعي بأسلوب تحليل المحتوى الاستقرائي والاستنباطي، حيث يعد تحليل المحتوى النوعي أداة بحثية مهمة تستخدم على نطاق واسع في دراسات الحالة وكذلك الدراسات الاثنوجرافية، كما يتم استخدامه على نطاق واسع في مختلف التخصصات العلمية والإنسانية (Zhang & Wildemuth، 2016).

1.6. الدراسات السابقة:

اهتم كثير من الدارسين والباحثين بالأفكار الاقتصادية والاجتماعية والسياسية, والكتابات التاريخية للمقريزي, إلا أن العديد من هذه الدراسات السابقة التي تناولت الإمام المقريزي وكتابه (إغاثة الأمة بكشف الغمة) قد ركزت بشكل كبير على جوانب الفكر الاقتصادي, ومن أهم هذه الدراسات دراسة المختار (أسباب الأزمات الاقتصادية عند المقريزي في كتابه إغاثة الأمة بكشف الغمة- 2013) حيث سعت الدراسة إلى رصد الأسباب والعوامل المؤدية الى حدوث الأزمة بمصر وفق ما أشار إليها المقريزي في كتابه، والعمل على تبويبها تحت مسمياتها المعتمدة في المنهج العلمي الحديث من أجل الوقوف على أهم العوامل التي كانت وراء حدوث الأزمات الاقتصادية بمصر خلال حقبة الدولة الإسلامية، وفي حين ركزت هذه الدراسة السابقة على إبراز جوانب الفكر الاقتصادي للأزمات، فإن الدراسة الحالية قد عملت على إبراز جوانب الفكر الإداري لإدارة الأزمات عند المقريزي، أمَّا (سكينة, 2015, الفكر الاقتصادي عند ابن خلدون والمقريزي- دراسة تحليلية مقارنة في ظل

النظريات الاقتصادية العالمية) فقد توصلت إلى مجموعة من النتائج أهمها إثبات سبق ابن خلدون والمقريزي في دراسة الظواهر الاقتصادية والتأسيس للنظريات التي أصبحت لاحقًا تنسب إلى مفكري الاقتصاد الوضعي مثل: آدم سميث وريكاردو ومارشال ومالتس، إلى جانب كارل ماركس وكينز وغيرهم. كما أوردت مجموعة من التوصيات والاقتراحات قصد إحياء النظريات الاقتصادية لدى رواد الاقتصاد الإسلامي وتطبيقها كحل بديل للأنظمة الاقتصادية القائمة التي انتجت برأي الباحثة الكثير من الأزمات الاقتصادية والمالية المتتالية.

وعن إسهامات المقريزي في الفكر الاقتصادي, يرى أحمد وذهبية (تحليل اقتصادي لكتاب "إغاثة الأمة بكشف الغمة" للمقريزي, 2016) أن المقريزي قد أسهم إسهامًا كبيرًا في تطوير الفكر الاقتصادي في زمن المماليك، وهي المرحلة التي عرفت بمتغيرات سياسية واجتماعية واقتصادية حادة، أثرت على مختلف فئات المجتمع، ما أدى إلى عرقلة عجلة التنمية في هذه الفترة، حيث بيَّن المقريزي أن المجاعة أزمة من الأزمات الاقتصادية الناتجة عن تراكم متغيرات متعددة وفي مقدمتها الجفاف وندرة الأمطار ما أدى إلى قلة الإنتاج الزراعي وكثرة الجوع، ومن ثم ظهور عدد من النشاطات الموازية للاقتصاد، وعلى رأسها المضاربة التي أفقدت النقود قيمتها الحقيقية لتصل الأسعار إلى درجات خيالية عمقت من تأثيرات هذه الأزمة، وأن المقريزي قد تطرق إلى عدد من المواضيع الاقتصادية، ووضع نظريات عدة منها نظرية الإنتاج، نظرية القيمة، نظرية الاستثمار، نظرية الادخار، نظرية الاستهلاك، نظرية النقود وغيرها. وهي أفكار تتقاطع في العديد من تفاصيلها مع أفكار علم الاقتصاد الحديث.

أما عن آراء المقريزي في التخلف الاقتصادي وأثره على المجتمع فقد سعى (يوسف وعويد, 2021) إلى إلقاء الضوء على مشاكل ومسببات التخلف الاقتصادي وأثره على مختلف الطبقات والتقسيمات الاجتماعية المختلفة، إذ أن التخلف (الفقر الاقتصادي) هو فشل في تحقيق الرفاء الاقتصادي لمعظم سكان الدولة، وقد يعني الفشل في أداء الاقتصاد وانخفاض مستوى الدخل القومي مقارنة بالدول المتقدمة، كما قد يعني الفشل في الاستفادة الكاملة من الإنتاج نظرًا لتخلف المعرفة الفنية والفشل الناجم عن مقاومة المؤسسات الاجتماعية، حيث توصل المقريزي إلى أثر العامل النقدي فيما يتعلق بكمية النقود في النشاط الاقتصادي من خلال أثرها في المستوى العام للأثمان، كما لاحظ افتقاد النقود المعدنية النفيسة (الذهبية والفضية) تاركة المجال للنقود النحاسية في التداول خلال فترة المجاعة وذلك لأن ارتفاع الأثمان قد خفض من القيمة الشرائية للنقود.

1.7. حدود البحث:

اقتصر هذا البحث على دراسة إدارة الأزمات عند الإمام المقريزي في كتابه (إغاثة الأمة بكشف الغمة)، والتعريف بالمؤلف تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، ودراسة منهجه.

1.0. الإطار النظري:

2.1. التعريف بالمؤلف المقريزي:

هو أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم تقي الدين المقريزي، نسبه إلى مقريزي محلة من بعلبك (المقريزي, 1999)، وقد ولد المقريزي سنة 766هـ – 1356م بحارة برجوان بقسم الجمالية بمحافظة القاهرة بمصر، وتوفي فيها سنة 845هـ1441–م .وكان جد المقريزي من كبار المحدثين في بعلبك، وقد تحول والده إلى القاهرة حيث ولي بعض وظائف القضاء وكتب التوقيع بديوان الإنشاء، وكان يسكن حارة برجوان وهي من أكثر حارات القاهرة حيوية وامتلاء بالصخب وضوضاء العمران والحياة، وهناك نشأ ابنه أحمد ودرس على مشايخ العصر كابن الصائغ الذي قام بتربيته وكفالته بعد أن مات أبوه وهو صغير، وكان جده لأمه فكفل تعليمه وأشرف على تنشئته وفق المذهب الحنفي (ابن الخطيب, 1977).

نشأ المقريزي في أسرة معروفة بالاشتغال بالعلم في دمشق وبعلبك والقاهرة، وعبر عشرين سنة شهد المقريزي حوادث ذلك العصر من نافذته الفكرية البعيدة عن شؤون الدولة المملوكية، ووسط تلك التقلبات عكف الشاب أحمد المقريزي على دراسة علوم الدين وحفظ القرآن، ومعرفة النحو ودراسة الفقه والتفسير والحديث وبعض العلوم الأخرى مثل التاريخ وتقويم البلدان والأدب والحساب (ابن بطوطة، د.ت). درس على مشايخ العصر كابن الصائغ، وابن رزين والبرهان الآمدي وزين الدين العراقي، وابن أبي المجد، والسراج البلقيني، والهيثمي وابن خلدون، وقد بلغ عدد شيوخه ستمائة فتوفر له التكوين الثقافي اللازم للبروز في عصره، وكان أكثر شيوخه تأثيرًا فيه أولهم ابن الصائغ في مرحلة النشأة وهو جد المقريزي لأمه (ت786هـ) وكان مبرزًا في القراءات السبع، وبرهان الدين أبو إسحاق إبراهيم الأموي الفقيه الحنبلي (ت797هـ) وزين الدين العراقي أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن العراقي الشافعي (ولد 725 هـ وتوفي806هـ) وكان حافظ الوقت وولي قضاء المدينة، والهيثمي أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر سليمان الشافعي المعروف بابن حجر الهيثمي (ت807هـ .)والسراج البلقيني الشافعي (ولد 724هـ، وتوفي 805هـ) وكان عالمًا في الأصول والفروع، وابن الملقن أبو حفص سراج الدين عمر بن أحمد بن محمد الأنصاري الأندلسي الشافعي (ولد723هـ، وتوفي 804هـ) وكان بارعًا في الفقه والأصول والتاريخ والرجال، وابن دقماق العلائي الحنفي (ولد750هـ. وتوفي809هـ) تخصص في التاريخ والتراجم والسير، وعبد الرحمن بن خلدون (ولد732هـ. وتوفي808هـ) مؤسس علم العمران، والذي عرفه في مرحلة النضج (السخاوي, 1978). ولم يكتفِ المقريزي بما حصله من علوم الأزهر بل سافر إلى عدة بلاد ليزيد من علمه ومعرفته كما كان يفعل العلماء من قبله، فذهب للحج ليلتقي بكبار علماء هذا العصر، ثم رحل إلى الشام (عاشور, 1998).

برع المقريزي في علوم الدين من فقه وحديث وبراعة في الأدب من نظم ونثر وإن أبدى هوايته في التاريخ طول حياته. وقضى ثلاثين سنة بعد الاعتزال يعمل في التأليف التاريخي حتى زادت مؤلفاته على مائتي مجلد وعلى أكثر من ثلاثين

عنوانًا في التاريخ وحده ما بين كتيبات ورسائل، وبعض الكتب الموسوعية في مجلدات كبيرة الحجم وصل عددها في بعض العناوين إلى ستة عشر، وقسم من هذه المؤلفات يتناول تاريخ مصر والقاهرة في مختلف عصورها، وقسم يتناول التاريخ الإسلامي، وقسم ثالث ورد فيه الحديث عن بعض المواضيع مثل: النقود، الموازين، الكعبة، النزاع الأموي الهاشمي وغيره، وأهم هذه الكتب (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار– السلوك في معرفة دول الملوك– اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء– المقفى في تراجم أهل مصر والوافدين إليها– شذور العقود في ذكر النقود– إغاثة الأمة بكشف الغمة– رسالة في الموازين والمكاييل)

2.2. التعريف بكتاب إغاثة الأمة بكشف الغمة:

هو كتيب صغير ولكنه يعدُّ من أفضل ما كتب المقريزي عمقًا وفهمًا، استعرض فيه تاريخ المجاعات التي حلَّت بمصر منذ أقدم العصور حتى مجاعة سنة 808هـ، السنة التي كتب فيها الكتاب مع تحليل العوامل الاقتصادية والاجتماعية لهذه الأزمات، ومنه مخطوطات عديدة في كمبرج ضمن مجموعة برقم 746add, وفي باريس بالمكتبة الوطنية، وقد طبع الكتاب في القاهرة سنة 1940م بتحقيق محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال، ثم أعيد طبعه سنة 1957م، كما طبع بحمص 1956 و1970م، وغيرها من الطبعات، وقد اعتمدت الدراسة على طبعة 2007 بتحقيق كرم فرحات في طبعته الأولى الصادر عن عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.

2.3. منهج المقريزي في كتابه (إغاثة الأمة بكشف الغمة):

يرى (فرحات, 2007) أن عظمة دور ومساهمة المقريزي، وشهرته وزعامته لمؤرخي العصر المملوكي تعود إلى منهجه في كتابة التاريخ، حيث اعتمد على المنهجين الاستقرائي والاستنباطي في دراسة الظواهر الاقتصادية التي شهدتها مصر آنذاك من المجاعة والتضخم، مستنبطًا النتائج من خلال تحليل أسباب الظاهرة والعمل على بيان الحلول، فأقام منهجه على مجموعة من الأسس، هي:

أ– الأمانة في عرض المادة العلمية

ب– التجرد من الأهواء

ج– التدقيق والاستقصاء لمعرفة أسباب الظواهر وعلل الأحداث

د– عدم الإسراف في الاستطراد.

هـ– الجمع بين الدراسات الاجتماعية و الاقتصادية.

و– إن المقريزي قد تلمس الظواهر الاقتصادية فقام على تحليلها والربط بينها.

2.4. أفكار المقريزي في كتابه (إغاثة الأمة بكشف الغمة):

عمد الإمام تقي الدين أحمد بن علي المقريزي في كتابه إغاثة الأمة بكشف الغمة إلى ذكر الأزمات والمحن والكوارث التي مرت بمصر على مر العصور، قاصدًا من وراء ذلك إثبات أن المحن والكوارث التي كانت تمر بزمانه ليست وليدة اللحظة ولا أشد فتكًا من أزمات وكوارث قد عايشها الأولون، وأن أزمات الأولين قد تكون أعظم هولًا ودمارًا، كما ذهب من وراء ذلك إلى تبيين أن هذه

الأزمات ليست جبرًا على الإنسان، إذ أنه يرى أن للإنسان إرادة في تجاوزها، والحد منها.

ولقد وقف الإمام المقريزي على الأزمات وقوف المستبصر، فأحالها إلى أسبابها، والعوامل المؤدية إليها، حيث يرى أن العوامل المسببة للأزمات تتراوح ما بين العوامل الطبيعية، والعوامل البشرية، كما هو موضح في الآتي:

- العوامل الطبيعية (الآفات السماوية): حيث أشار إلى أكثر الأنواع شيوعًا وتأثيرًا في حدوث الأزمة مثل انخفاض مستوى نهر النيل وعدم فيضانه في مصر، وانقطاع الأمطار وعدم سقوطها وحصول الجدب والقحط، أو بسبب الآفات الزراعية كهجوم الفئران وأسراب الجراد على الغلات والمحاصيل لتأتي عليها وتدمرها، إضافة إلى كثرة نفوق الحيوانات التي كان لها أهمية كبيرة في أعمال الزراعة فضلًا عن كونها ثروة مهمة من ثروات البلاد، وقد تعددت أسباب هذه الكارثة التي كان من أهمها انتشار الأوبئة بين الماشية خصوصًا بين الأبقار التي كان عليها مدار الزراعة. ويرى أن الأوبئة والأمراض المعدية مثل الطاعون من أهم الأسباب الطبيعية لحدوث الأزمات، حيث تؤدي على ارتفاع أسعار المواد والسلع التي تستخدم في صناعة الأدوية وتحضيرها كتلك التي يحتاجها الناس في انتشار الأوبئة والأمراض لزيادة الطلب عليها، كما تؤشر تراجعات في الإنتاج كما ونوعًا لما لها من الأثر البالغ في تناقص أعداد السكان، وتزداد الأزمة تعقيدًا إذا ما تزامن حدوث الغلاء والوباء معًا، وربما يكون الغلاء أو المجاعة في الكثير من الأحيان سببًا في انتشار الأوبئة والطواعين أو تكون المجاعة نتيجة لهما في أحيان أخر.

وعلى الرغم من حدوث بعض الكوارث في هذا العصور بسبب العوامل الطبيعية، إلا أن المقريزي يرى أنَّ تفاقمها وزيادة حدتها يرجع إلى عوامل بشرية، حيث وإن كان للكوارث الطبيعية مثل فيضان النيل أو قلة جريانه أثر كبير في القحط والمجاعات والغلاء، إلا أن مما زاد في صعوبتها وقسوتها هو غياب السياسة الاقتصادية الفعالة للدولة, وسوء الإدارة الاقتصادية والفساد الإداري, وعدم العناية بعمارة الأرض واستصلاحها, وإهمال مشاريع الري والإرواء, حيث يرى المقريزي أن ظاهرة القحط والغلاء يمكن أن تزول إذا ما سارعت الدولة إلى اتخاذ اصلاحيات إدارية وإجراءات اقتصادية رشيدة من شأنها تطويق الأزمة وحلها.

- العوامل البشرية: يرى المقريزي أن الأسباب الحقيقية في الأزمات التاريخية في مصر هي الأسباب البشرية التي تكمن في الفساد الإداري وشيوع ظاهرة شراء الوظائف والمناصب، وإهمال عناصر الإدارة كالتخطيط ووضع السياسات وسوء اختيار القيادات للمناصب المهمة والعليا، وإهمال السياسة الرقابية للدولة ومتابعة تنفيذ القرارات والقوانين الصادرة منها.
  - الفساد الإداري: فقد أكد المقريزي أن من أحد أهم الأسباب البشرية التي أدت إلى خراب مصر والشام وتدهور دولة المماليك وحدوث المجاعات وتأصل الغلاء هو انتشار الرشوة في الدولة. إذ

أدى ذلك إلى وصول اشخاص إلى مناصب عليا في الدولة هم غير جديرين بها مقابل مبالغ معينة من الأموال, وأن الذين كانوا يتولون المناصب يضعون نصب أعينهم تعويض الأموال التي يدفعونها لتوليهم هذا المناصب فيمدوا أيديهم في أموال الناس بفرض الضرائب والمكوس الجائرة عليهم, وأنه عندما كثرت المغارم وتنوعت المظالم واختلت أمور الناس وأحوالهم المعيشية, فاضطروا إلى ترك أراضيهم الزراعية وهجرتهم لأماكن عديدة, والنتيجة كانت قلة الإنتاج الزراعي وعجزه عن مواجهة تيار الطلب والانفاق الخاص والعام وانخفاض معدلات الجباية مما انعكس على انخفاض إيرادات الدولة المالية. (المقريزي، إغاثة الأمة,74).

- تعدد المظالم وتنوعها: أشار المقريزي إلى أن من أهم أسباب هذه الأزمات كثرة المصادرات والضرائب المفروضة وتزايدها, وشيوع الظلم والجور من قبل عمال الجباية للناس واستغلالهم للمنصب الذي أدى إلى إثقال كاهل الفلاح واستنزاف كل مدخراته, وبالتالي عجزه عن زراعة أرضه, وهجرة أهل الريف وتفرقهم في البلاد العامرة بالسكان بحثًا عن العمل وتركهم لقراهم والذين يمثلون في مجملهم أيدٍ عاملة زراعية, ما يعني إفراغ الريف من الأيدي العاملة, وانخفاض مستوى الإنتاج الزراعي, مما انعكس على إيرادات الدولة المالية التي انخفضت لقلة الجباية من الخراج الذي يعد أهم الموارد المالية للدولة (المقريزي، إغاثة الأمة, 74). كذلك تعرض المقريزي لأثر الأجور على عرض العمل حين تحدث عن المظالم التي يتعرض لها الفلاحون، حيث يرى أنه إذا كان انخفاض الأجر يؤدي إلى انخفاض عرض العمل فإن السخرة– شكل من أشكال العمل غير مدفوع الأجر– أدت إلى تلاشي عرض العمل بالكلية، وأن ذلك قد ظهر في صورة الهجرة الجماعية المتزايدة للفلاحين من الأرياف.
- احتكار أهل الدولة: فقد تحدث المقريزي عن الملكية للأرض الزراعية بوصف القطاع الزراعي هو القطاع الأهم للثروة وكمورد مهم لخزينة الدولة من خلال ضريبة الخراج، ولكونها أيضًا المصدر الأهم لأحداث الفرائض الاقتصادية في ذلك المجتمع الزراعي بالدرجة الأولى، كما يتضح أيضًا أنه لم تكن هناك عدالة في توزيع ملكية الانتفاع بالأراضي الزراعية نظرًا للنظام الاقطاعي الذي ساد تلك الفترة والذي قصر ملكية الانتفاع بالأرض الزراعية على الأمراء والأجناد في الدولة المملوكية. وقد ذكر المقريزي أن من أسباب حدوث الأزمات السياسة الاحتكارية التي سار عليها رجال الدولة، من أصحاب المناصب العليا من الأمراء والقادة وغيرهم الذين كانوا يحتكرون تجارة الغلال، فيبيعونها للناس بما حددوا من أثمان، طمعًا في جمع الثروات الضخمة، وتأمين البذخية والسرف (المقريزي، إغاثة الأمة, 76)، كما لم يقتصر الاحتكار على رجال الدولة من القادة والأمراء بل تعداه إلى دخول السلاطين المماليك في ميدان التجارة، واستخدام سلطتهم السياسية من أجل تحقيق

أرباح كبيرة لهم، كما أوضح المقريزي أن احتكار أهل الدولة للإنتاج بيعًا وشراءً من أهم أسباب حدوث الغلاء ووقوع المجاعات، حيث أنهم لا يبيعون إلا بالسعر الذي يحددونه ووفق ما يشتهون. كذلك فإن الاحتكار قد طال كل القطاعات، إذ لم يقتصر على احتكار المحاصيل الزراعية، بل تعداها إلى احتكار عوامل الإنتاج، مما يعني أن احتكار عوامل الإنتاج كان له دورًا كبيرًا في تعميق مشكلة تضخم الأسعار في مصر. كذلك يرى المقريزي أن الاحتكار قد أسهم في التخريب الاقتصادي وإعاقة حركة التنمية في البلاد، حيث أدى ذلك إلى تخريب معظم الأراضي الزراعية وتعطيلها عن الزراعة، وعجز أصحابها عن زراعتها لغلاء البذور، وهلاك الدواب، وقلة المزارعين لموت أكثرهم بسبب الفقر وشدة السنين او هجرتهم إلى مناطق عدة في البلاد (المقريزي، إغاثة الأمة, 76-77).

- احتكار التجار للقوت وتلاعبهم بالأسعار: يرى المقريزي أن لتلاعب التجار والباعة بالأسعار من خلال احتكارهم المواد الغذائية أثره في حدوث أزمات مفتعلة، وإن كانت أخف وطأة من احتكار أهل الدولة لكثرة عدد التجار والبائعين لتلك المواد، وأنهم قد حققوا أرباحًا طائلة في أوقات الأزمات بسبب استغلالهم للناس، وبيعهم الغلات بالسعر الذي يرضيهم فجمعوا ثروات هائلة، وأن بعض التجار كانوا يلجؤون إلى أساليب الغش والخداع أثناء الأزمات، كغشهم الدقيق بغيره من المواد (المقريزي، إغاثة الأمة, 77).
- عدم وجود احتياطي عيني لدى الدولة: حيث ضاعف مشكلة المجاعات عدم اهتمام الدولة بإيجاد احتياطي عيني من الغذاء لمواجهة سنوات الجوع بالرغم من جدواه في تخفيض الأسعار وتقليل مخاوف الناس من انعدام الغلة واختفائها، ويرجع المقريزي سبب عدم اهتمام الدولة بتوفير احتياطي غذائي يعود إلى انخفاض الناتج الزراعي في العديد من السنوات والإهمال الذي أصاب الثروة الزراعية فأثر سلبًا على كمية الإنتاج، إضافة إلى رغبة الدولة في المتاجرة بسلع تدر ربحًا أكثر، وقد أوضح المقريزي أن خلو تلك المخازن أدى إلى اشتداد الأزمات وحدوث المجاعة بمصر (المقريزي، إغاثة الأمة, 46).
- الاضطرابات السياسية وانعدام الأمن والاستقرار: أوضح المقريزي أن الاضطرابات السياسية والمشكلات الداخلية من أكثر العوامل البشرية خطورة في حدوث الأزمات، حيث قام بتصنيفها إلى ثلاثة محاور رئيسة هي:

أ- الفتن بين السلاطين والأمراء للاستحواذ على السلطة.

ب- الفتن بين المماليك الأجلاب والدولة الذين كان لهم دور كبير في إثارة القلاقل والفتن التي كان أغلبها بسبب عجز الدولة عن الانفاق عليهم أو عدم رغبتهم في السلطان القائم ورغبتهم في تغييره.

ج- غارات العربان وهجماتهم التي سببت الكثير من المتاعب للسلاطين منذ بداية دولتهم والتي لم تنقطع، وأنه حين وهنت قبضة الدولة صاروا يهاجمون القرى وينهبونها، كما أنهم كانوا يهاجمون المدن، وأنه كان يخرج الجيش إليهم فيحدث القتال فتفسد المزروعات وترتفع الأسعار ويحدث الغلاء، وأنه قد يتوقف جلب البضائع لانعدام الأمن والخوف.

- تعطيل دور الموارد المالية الشرعية ومصادرتها: حيث كان لتعطيل وسائل إعادة التوزيع الشرعية دور كبير في تفاقم الأزمات وزيادة حدتها، حيث أسهمت في تعميق مشكلات الفقر وزيادة حدة التفاوت في الدخول، وضياع وتلاشي عدالة التوزيع في المجتمع، فقد عطلت الزكاة فلم تعد قادرة على القيام بدورها الأساسي في عملية التكافل الاجتماعي، كما أصبحت تضمن كما يضمن الخراج وغيره من الموارد المالية للدولة، مما أدى إلى تلاشي أثرها في المجتمع لا سيما في أوقات الأزمات (المقريزي، إغاثة الأمة, 40-5-).
- الإنفاق الحكومي المتزايد: فلم يهم المقريزي الأسباب الأخرى التي كانت تؤدي إلى الغلاء وحدوث التضخم مثل الانفاق الحكومي المتزايد الذي لا يتفق وكمية الموارد المالية المتاحة للدولة, وأثره أيضا على المستوى العام للأسعار وحدوث التضخم وهي إما نفقات إدارية أو عسكرية أو نفقات سلطانية مسرفة, كما أوضح أيضًا كيف كان التيار الإنفاقي من قبل الدولة كثيرًا جدًا ومتزايدًا باستمرار, وأنه كان في مجملة انفاقًا استهلاكيًا ترفيا وأنه لم يكن إنفاقًا استثماريًا, مما أدى في النهاية إلى عجز شبه مستمر في ميزانية الدولة ولجوئها إلى استحداث الكثير من وسائل توفير الأموال المشروعة وغير المشروعة كالاقتراض وزيادة الضرائب وفرض ضرائب جديدة وصولًا إلى بيع المناصب والوظائف تلبية لتزايد النفقات العامة وسدًا لعجز الموازنة (المقريزي, إغاثة الأمة, 75).

ولعل المتأمل في كلام المقريزي يرى أن ذلك لم ينعكس على فترة أو حقبة معينة وحسب، بل نرى ذلك في واقع الشعوب والأمم اليوم التي تتعرض للاضطهاد من خلال اختلال نظام الحكم فيها, وتزايد هجرة بنيها باحثة عن سبلٍ للعيش أكثر أمانًا ورفاه, كم أن المقريزي لم يقف عند توصيف وتشخيص الحال فقط, بل انطلق من خلال نظرياته الاقتصادية في حث الدولة وأنظمتها على تدارك الحال, ومعالجة هذا الاختلال الذي من شأنه أن يقضي على عديدٍ من الأيدي العاملة, والمشاريع الناشئة, وأن يفاقم المشكلات الاقتصادية الناتجة عن عدم استغلال الدولة لمواردها, وعزوف المزارعين وأصحاب العمال عن أعمالهم, نتيجة كثرة الضرائب وارتفاعها, وتعدد المظالم وتنوعها.

2.5. إدارة الأزمات:

تقوم إدارة الأزمات على تخفيض الآثار السلبية الناتجة عن الأزمة، وتحديد مصادر المخاطر والتهديدات، وإزالة مسبباتها، وتقليل الخسائر البشرية والمادية والمعنوية، وهذا يتطلب استخدام نظم للإنذار المبكر على درجة عالية من الحساسية، لالتقاط كافة إشارات الإنذار الحقيقية

ووضع خطط مسبقة للاستعداد والوقاية من الأزمات المحتملة. (رفاعي وجبريل, 2007, 29)

وفي الوقت الذي تحمل الأزمة بين طياتها تهديدًا مباشرًا للمؤسسة، فإنها تُعدُّ فرصًا ثمينة لإعادة اكتشاف المؤسسة لذاتها، وإطلاق القدرات الإبداعية والابتكارية الكامنة فيها. فالأزمة ليست كلها جوانب سلبية، إذ أن لها جوانب أخرى إيجابية، حيث ينظر للأزمة باعتبارها نقطة تحول إلى الأحسن فيفيد المنظمة، أو إلى الأسوأ فيضرها. (الطبلاوي, 1997, 57)

إن إدارة الأزمات هي إدارة ما لا يمكن إدارته، والسيطرة على ما لا يمكن السيطرة عليه، وبذلك فهناك تحدٍّ حقيقي للمنظمات في سبيل تبني إدارة الأزمات لا لترف فكري، وإنما كخيار استراتيجي مهم، بدافع الحاجة الملحة للأخذ بهذا المفهوم، وتحويل نظرته لواقع يطبق، مما يعود بالفائدة على المنظمات، وبالتالي يسهل عملية المحافظة على فرص بقائها، وتحقيق أهدافها. (جاد الله, 6,2008)

وعلى رغم الاختلاف في مفهوم الأزمة وتعريفها طبقًا للمجالات العلمية، إلا أن هناك من يرى بأنها عبارة عن موقف يتصف بصفتين أساسيتين هما:

التهديد: حيث يشعر الأطراف المشاركون في الأزمة بأنهم لن يستطيعوا الحصول أو المحافظة على القيم والموارد أو الأهداف التي تمثل أهمية بالنسبة لهم، ويتعلق بالتهديد كل من حجم وقيمة الخسارة المحتملة علاوة على احتمال تحققها، فكلما ازدادت قيمة الخسارة وازدادت احتمالات تحققها ازداد التهديد.

ضغط الوقت: إدراك الأطراف المشاركة في الأزمة لمقدار الوقت المتاح لتقصي الحقائق واتخاذ تصرف قبل بدء حدوث أو تصعيد الخسائر، ويتأثر إدراك المدير للوقت المتاح للتعامل مع الأزمة بعوامل مثل تعقد المشكلة، مستوى الإجهاد، والضغط النفسي الذي يشعر به المدير (نخبة, 2014, 10-11, عياصرة وبني أحمد, 2008, 74-75).

2.6. منهج المقريزي في استعراض الأزمات:

يتميز منهج المقريزي الذي سلكه في كتابه إغاثة الأمة بكشف الغمة الذي خصصه لمناقشة واستعراض المجاعات والأزمات التي حلت بمصر منذ القدم حتى العصر الوسيط ودراسة الظواهر المترتبة على ذلك من غلاء وتضخم بالخصائص التالية:

أ- اعتماد مبدأ السببية في تفسير الظواهر الاقتصادي:

حيث يلاحظ على أفكار المقريزي أنه لا يقر القدرية السلبية والجبرية في النظر إلى أصل القحط والنكبات والمجاعات، فالمجاعات ليست مفروضة عليهم دون أن يكون للبشر قدرة لفهمها، حيث إنها ظاهرات مادية واجتماعية ترتبط بالعوامل الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية، تدوم بديمومتها وتزول بزوالها، كما يمكن لها أن تعاود الظهور إذا ما عاودت هذه العوامل ظهورها مرة أخرى، فالمقريزي يرى أن الأزمات والظواهر والقحط والمجاعة والغلاء هي وقائع اقتصادية لم تلزم البشر دومًا، ولكنها تقع أحيانًا وتنقطع أحيانا، وأنها تقع عندما تجتمع مسبباتها ودواعيها، وتنقطع عندما تنتهي تلك المسببات والدواعي.

حيث يقول في كتابه (أعلم حاط الله نعمتك وتولى عصمتك، أن الغلاء والرخاء ما زالا يتعاقبان في عالم الكون والفساد، منذ برأ الله الخليقة في سائر الأقطار وجميع البلدان والأمصار، وعزمي إن شاء الله أن أفرد كتابا يتضمن ما حل بهذا النوع الإنساني من المحن والكوائن المجيحة منذ آدم عليه السلام، وإلى هذا الزمن الحاضر، وبعد فإنه لما طال أمد هذا البلاء المبين، وحل فيه بالخلق أنواع العذاب المبين، ظن كثير من الناس أن هذه المحن لم يكن فيما مضى مثلها ولا مرَّ في زمن شبهها، وتجاوزوا الحد، فقالوا لا يمكن زوالها، ولا يكون أبدًا عن الخلق انفصالها، وذلك أنهم قوم لا يفقهون، وبأسباب الحوادث جاهلون، ومع العوائد واقفون، ومن روح الله آيسون).

فالمقريزي إذا يرى أن تأثير ظاهرة الغلاء يمكن أن يظل محدودًا كذلك إذا ما سارعت الدولة عند وقوع الجفاف إلى اتخاذ إجراءات اقتصادية من شأنها أن تسهم في الحد منه. كما أنه يثبت من خلال معطيات التاريخ الاقتصادي من أن المجاعات وظاهرة شحة الموارد ليست وليدة لحظة بعينها، بل إنها مرافقة للإنسان منذ القدم وأنها تحدث بين الفينة والفينة، وأنه يمكن للناس أن يتجاوزوها أو يحدوا من آثارها عليهم، وأنه ليس من الصحيح القول أنها ملازمة لوجودهم.

ولعل من أبرز أسباب تطرق المقريزي للأزمات على مر التاريخ الإنساني هو لتبيين أن هذه الأزمات لم تكن لتكون لولا وجود مسبباتها، فهو يصرّ بشكل إيجابي إلى أهمية عنصر الإرادة البشرية في مقارعة العوامل الطبيعية والحد من مفعولها، كما يرى أن إدراك الكوارث الطبيعية أمر ممكن من قبل البشر وأنه من خلال ادراكهم للقانون والظواهر يتيسر لهم تنظيمها وتوريضها بحيث يمكن تفادي أخطارها الاقتصادية والاجتماعية.

ب- نسبية الظاهرة:

مما لا ريب فيه أن اعتماد النظرة النسبية في سرد وتحليل وقائع الأزمات هو منهج علمي يضمن للباحث وللمتتبعين لأفكاره الترابط والتتابع التاريخي في النظر إلى الوقائع الاقتصادية وتحليلها، والتكامل في النظرة إلى مجمل تلك الظواهر بحيث يغدو الحدث التاريخي الآني جزء للكل التاريخي، وأن الربط والنظرة المتكاملة كفيلان في التوصل إلى استنتاجات أقرب للدقة العلمية في تقييم الظواهر الاقتصادية واستنباط جوهرها والكشف عنه.

ج- الديمومة النسبية للظاهرة:

فقد نبذ المقريزي القدرية والجبرية في تفسير الظاهرة وأسبابها وديمومتها، واعتماد النسبية كونها معيار في تقييم حجم ووزن الظاهرة ومكانتها ضمن مجالها التاريخي. إضافة إلى الإيمان بالديمومة النسبية وليست المطلقة بالظاهرة.

كما أن المقريزي في كتابه (إغاثة الأمة بكشف الغمة) تاريخ المجاعات في مصر، قد قدم نظريتين مهمتين هما:

النظرية الأولى: تعليله للأزمة الاقتصادية التي حلت بمصر في الربع الأول من القرن الخامس عشر الميلادي بأنها ناشئة عن فساد النظام النقدي، وبذلك يكون المقريزي أول من وضع النظرية النقدية في تفسير الأزمات الاقتصادية،

حيث اقترح على السلطات إصلاح السياسة النقدية كوسيلة من وسائل معالجة الأزمة.

النظرية الثانية: بحثه لمعالجة التضخم وأثره على مختلف فئات المجتمع من خلال عرضه تفاصيل قضية القوة الشرائية الحقيقية للنقد وقوته الشرائية الأسمية، كما طالب باستبعاد العملات الاعتبارية الرمزية والأخذ بالنقد المستند إلى الذهب والفضة.

2.7. المقريزي وإدارة الأزمات:

يتفق المقريزي في كتابه إغاثة الأمة بكشف الغمة في تأصيله للأزمات وبيان أسبابها، والتفصيل في عواملها وأطوار نشوئها، واختلاف شدتها وتأثيرها، مع النظريات الحديثة لإدارة الأزمات.

فحين يرى المقريزي أن الأزمات تختلف من حيث تكرار حدوثها، وأنها ليست جبرًا على الإنسان في كل الأزمنة، فإن الأزمات في النظريات الحديثة تصنف من حيث تكرارها إلى: أزمات دورية، وأخرى غير دورية. فالأولى تعصف بالنظام والمؤسسة بصورة دورية، في الأغلب نتيجة أسباب خارجية (معظمها اقتصادية)، والثانية لا يرتبط حدوثها بأسباب متكررة، وتحدث بصورة عشوائية، ومن الصعب توقعها، وتتطلب استخدام نظام فاعل لتوقع الأزمات، حتى تكون نتائجها غير مدمرة، ومن أمثلتها: الأزمات الناجمة عن الأحوال الجوية السيئة، والزلازل والبراكين (الملا, 2015, 63).

وكما أن المقريزي يرى أن عوامل الأزمات تنقسم إلى قسمين رئيسين هما: العوامل الطبيعية والعوامل البشرية، فإن العلم اليوم ينظر إلى الأزمات بأنها ليست وليدة ذاتها، بل نتيجة مجموعة من الأسباب، والعوامل المناخية المؤدية لنشوئها، ولهذا فإن معالجة الأزمات لا يتم دون معرفة أسبابها، وإلا أصبحت عملية إهدار للوقت والجهد والمال، وتؤدي إلى تفاقم الأزمة وعدم معالجتها، فالأزمة في حقيقة الأمر تعبر عن فشل صانع القرار في منع حدوثها، والتخفيف من آثارها (عياصرة وبني أحمد, 2008, 79).

ولعل من أبرز أسباب الأزمات التي تناولتها الكتابات المعاصرة هي: **سوء الفهم – سوء الإدراك– سوء التقدير والتقييم– سوء الإدارة– تعارض المصالح– تعارض الأهداف– الأخطاء البشرية– الإشاعات– اليأس– الرغبة في الابتزاز– استعراض القوة– الأزمات المتعمدة** (الخضيري, 2003, 37). كذلك يرى الصيرفي وآخرون أن الأسباب داخلية وخارجية، وأبرز الأسباب الداخلية هي: ضعف الإمكانيات المادية والتكنولوجية والبشرية، التهوين من الأزمات، تعارض المصالح، انعدام الثقة، التسرع في اتخاذ القرار، ضعف القيادات، عدم فعالية الاتصالات، جمود النظم الإدارية، ضعف التنظيمات غير الرسمية، عدم الاهتمام بالتدريب، وعدم الاهتمام بالجوانب الإنسانية للعاملين. أما الأسباب الخارجية فهي: السيولة النقدية، خسارة الموزعين، تعاقب الإدارة العليا، افتقار التفكير الاستراتيجي وأسباب أخرى (الصيرفي, 2007, 40–42, جاد الله, 2007, 30). وهذه الأسباب وإن تعددت، إلا أنها لا تخرج عن عاملين اثنين هما العوامل الطبيعية والعوامل البشرية، وهو ما ذهب إليه المقريزي في كتابه (إغاثة الأمة بكشف الغمة).

ولعل من أهم النتائج التي توصل إليها المقريزي من وراء كتابه "إغاثة الأمة في كشف الغمة"

أ- إن للادخار دورًا مهمًا ومحوريًا في مواجهة الصعاب المعيشية وأنه مرهون بتوفر الفرص.

ب- إن من أهم العوامل لضمان الاستقرار والرفاهية هو العدالة في توزيع الخيرات لضمان التنمية وتحقيق الاستقرار الاقتصادي.

ج- إن المجاعات والفساد الاقتصادي وسوء الأحوال المعيشية هي نتيجة السياسات السلبية التي انتهجتها الدولة، حيثُ أهملت عامل الإنتاج والرفع منه.

د- إن غياب الرقابة في الأسواق والتلاعب بالأسعار هما نتاج لغياب الجهاز الرقابي للدولة.

هـ- ذهب المقريزي إلى أن مدى خطورة الإسراف في إصدار النقود وتدفقها مما تولد عنه التضخم.

و- التلاعب بالأسعار والاحتكار والمضاربة وتدهور أحوال الناس يرجع إلى ضعف الوازع الديني عند التجار.

ز- غياب السياسة الرشيدة لإدارة الشؤون المعيشية للأفراد، وغياب التصور العلمي الصحيح للتنمية لدى المسؤولين على الرعية.

ح- إن التضخم المتصاعد مستمر في مستويات الأسعار نتيجة تدهور الفلوس – العملة النقدية في ذلك الوقت – مقابل أسعار الذهب والارتفاع الجنوني للأسعار.

كما أن من أبرز آثار هذه الأزمات ونتائجها التي ذكرها المقريزي هي ما أصابت القطاع الاقتصادي، والكيان الاجتماعي، ومن ذلك:

- ارتفاع الأسعار: على الرغم من استخدام المقريزي لفظة الغلاء عوضًا عن التضخم التي تعني عنده بأنها الارتفاع المستمر والدائم للأسعار، حيث يقول: "صار الغلاء بينهم كأنه أمر طبيعي لا يرجى زواله، وتزايد سعر الغلال"(المقريزي,1970)، إلا أن هذا الاستخدام يكاد يكون مطابقًا مع مفهوم التضخم وتعريفه المعاصر الذي يعني الارتفاع في المستوى العام للأسعار الناتج عن عدم التوازن بين التيار النقدي والتيار السلعي. ومن ذلك ما يراه المقريزي أن الزيادة السريعة في عرض النقود يعد من أهم الأسباب التي تؤدي إلى ارتفاع الأسعار، وهو ما حصل للفلوس التي كثرت بشكل كبير بأيدي الناس، وراجت حتى صارت هي النقد الأكثر تعاملًا في البلاد (المقريزي، إغاثة الأمة, 101). كما يرى أيضًا في كتابه (السلوك في معرفة دول الملوك) أنه بمرور الوقت فقد تراجعت قيمة النقود النحاسية كثيرا، مما دفع التجار إلى سحب النحاس من مصر والاتجار به كسلعة مع بلاد شمال أفريقية والحجاز واليمن والهند في المدة بين عامي (1420-1422م) بسبب ارتفاع أسعار النحاس هناك. إضافة إلى إرجاعه أسباب حدوث بعض الأزمات والمجاعات إلى عامل النقد.
- ارتفاع أسعار البذور وكلف الحراثة والحصاد: يرى المقريزي أن ارتفاع أسعار البذور تبعًا لارتفاع أسعار الأراضي وغلاء ايجارها أدى إلى عجز الفلاحين عن زراعة أراضيهم

لعجزهم عن دفع الأموال المترتبة عليهم، فتركت الأرض وتعرضت للبوار والدمار، وهو ما انعكس سلبًا على الإنتاج الزراعي وانخفاض جباية الدولة من الغلات والموارد المالية وحدوث العجز في الموازنة العامة للدولة (المقريزي، إغاثة الأمة, 77).

- التفكك الاجتماعي وانعدام التكافل بين الناس: حيث يرى المقريزي أن التكافل الاجتماعي من الإجراءات الوقائية للأزمات ووسيلة من وسائل المعالجات المتخذة من قبل فئات المجتمع المختلفة للتخفيف من آثارها، لما للتكافل من دور كبير في التخفيف من شدة الأزمات وآثارها الناتجة عنها. غير أنه يرى أن توالي الأزمات على مصر وما نتج عنها من آثار سلبية كبيرة على الناس والمجتمع فتدهورت حالتهم المادية مما زاد من حرصهم على ما في أيديهم من مال وطعام، حيث صار معظم الناس يقتتلون في سبيل الحصول على الطعام، ويتزاحمون على الأفران بغية الحصول على الخبز والدقيق (المقريزي، إغاثة الأمة, 64).

2.0. النتائج والتوصيات:

سعت الدراسة إلى تحقيق هدفها الرئيس المتمثل في التعرف على إدارة الإمام المقريزي في كتابه (إغاثة الأمة، بكشف الغمة)، وعليه فقد توصلت الدراسة إلى نتائج عديدة يمكن إيجازها في التالي:

1. مساهمة المقريزي في الفكر الإداري، وسبقه في التأسيس للكثير من النظريات الاقتصادية، وتأصيله للأزمات وتقديمه تحليلًا للظواهر الاقتصادية والاجتماعية والسياسية المختلفة من خلال تبيين أسبابها ونتائجها بما يحقق البناء التكاملي للنظرية الإدارية. مما يجعل المقريزي رائدًا من رواد الفكر الإداري والاقتصادي، إذ أنه سبق بذلك الكثير من رواد الفكر الإداري والاقتصادي بمختلف مدارسه. ومن الأهمية بمكان تفعيل نظرياته والسعي لتطبيقها في ظل الأوضاع الاقتصادية العالمية المعاصرة.
2. اهتمام المقريزي بالمشكلات الاقتصادية الناتجة عن الأزمات المختلفة، ودراسة ظواهر تلك الأزمات والمحن، والوقوف على تداعيتها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية كالنقص في إنتاج قيم الاستعمال من المنتجات، والسلع وارتفاع أثمانها، وأثر العامل النقدي فيما يتعلق بكمية النقود في النشاط الاقتصادي من خلال أثرها في المستوى العام للأثمان، إضافة إلى التفكك الاجتماعي وانعدام التكافل بين الناس.
3. اتفاق المقريزي في كتابه إغاثة الأمة بكشف الغمة في تأصيله للأزمات وبيان أسبابها، والتفصيل في عواملها وأطوار نشوئها، واختلاف شدتها وتأثيرها، مع النظريات الحديثة لإدارة الأزمات.

وإن من أهم التوصيات التي يمكن التوصل إليها في هذه الدراسة:

1. التعريف برواد العلماء المسلمين القدامى ممن تناولوا مواضيع ومسائل إدارية واقتصادية واجتماعية بتحليل دقيق، الذي يتطلب اتجاه البحث العلمي إلى توزيع الاهتمامات إلى كل جوانب الفكر الإداري في التاريخ الإسلامي باختلاف مسمياته وأقسامه، والوقوف على كل ما يتناسب والتطبيق العملي له في ظل الواقع العملي للمجتمعات المعاصرة.

2. البحث العلمي إلى الاهتمام بجوانب الاقتصاد الإسلامي في مجال الدراسة المعمقة والتحليلية لما كتبه المقريزي وفي ظل ظروف عصره السياسية والاجتماعية والاقتصادية بما يجعل الباحث يستفيد دروسا يمكن تطبيقها وتفعيلها في العصر الحاضر. فالتقدم والتنمية عملية فنية ذات أبعاد سياسية واقتصادية وفكرية ضمن ضوابط شرعية في كل المجالات وخاصة الاقتصادي منها.

3. التركيز على الدراسات المقارنة بين أفكار الإمام المقريزي وغيره من علماء المسلمين، ودراسة نظرياتهم مع النظريات الحديثة للفكر الإداري والاقتصادي، لما للدراسات المقارنة من أثر في تبيين سبقهم، واقتفاء آثارهم، لاتباعهم فيما أصابوا، وتحسين وتلافي ما قصروا فيه.

إن التركيز على القضايا الفكرية والتأسيس لها ينبئ عن أهمية الجانب المؤسسي في الفكر الإداري، والاقتصاد الإسلامي وضرورة تفعيلهما باعتبارهما حلقة الوصل بين الفكر والتطبيق، ومن ذلك تنمية المعرفة بأهمية التزام المجتمع بالمبادئ الإسلامية التي تنهى عن الإفساد والإسراف والسلبية، وتحث المجتمع على الإصلاح والإيجابية والسببية، والعمل على نشر أنماط استهلاكية وادخارية واستثمارية إسلامية تنعكس بالضرورة على النشاط الإنتاجي وتوازنه مع النشاط الاستهلاكي على المستوى الكلي.

المصادر:

- القرآن الكريم، سورة الملك، آية رقم 2.

المراجع العربية :

[1] ابن الخطيب، لسان الدين (1977)، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

[2] ابن بطوطة، (د.ت)، رحلة ابن بطوطة، دار صادر، د.ط. بيروت، لبنان

[3] احمد، دردیش وأوموسى ذهبية، (2016)، تحليل اقتصادي لكتاب "إغاثة الأمة بكشف الغمة" للمقريزي، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 44، جامعة محمد خضيرة بسكرة، الجزائر.

[4] جاد الله، محمود، (2008)، إدارة الأزمات، الطبعة الأولى، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان– الأردن.

[5] الخضيري، محسن أحمد، (2003)، إدارة الأزمات منهج اقتصادي إداري لحل الأزمات على مستوى الاقتصاد المصري والوحدة الاقتصادية، الطبعة الثانية، مكتبة مدبولي، القاهرة– مصر.

[6] رفاعي، ممدوح، وماجدة جبريل، (2007)، إدارة الأزمات، كلية التجارة بجامعة عين شمس، القاهرة– مصر.

[7] السخاوي، (د.ت)، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، مطبعة العلمي، بيروت، لبنان.

[8] سكينة، بويلي، (2015)، الفكر الاقتصادي عند ابن خلدون والمقريزي– دراسة تحليلية مقارنة في ظل النظريات الاقتصادية العالمية، دكتوراه، جامعة الحج لخضر، الجزائر.

[9] الصيرفي، محمد. (2007)، إدارة الأزمات، مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع، الإسكندرية– مصر.

[10]الطبلاوي، نجوى عبد الله، (1997)، ثقافة المنظمة والمواجهة الفعالة للأزمة، المؤتمر السنوي لإدارة الأزمات والكوارث، جامعة عين شمس، القاهرة.

[11]عاشور، محمد، (1998)، رواد الاقتصاد العرب، دار الأمل للنشر والتوزيع.

[12]عياصرة، معن ومروان، (2008)، إدارة الصراع وضغوط العمل والتغيير، الطبعة الثانية، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان– الأردن.

[13]المختار، مهند، (2013). أسباب الأزمات الاقتصادية عند المقريزي في كتابه إغاثة الأمة بكشف الغمة. مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد (12)، العدد (4). جامعة الموصل. العراق.

[14]المقريزي، أحمد بن علي، (1970). السلوك لمعرفة دول الملوك. تحقيق: سعيد الفتاح عاشور. دارالكتب. ج3. مصر.

[15]المقريزي، أحمد بن علي، (1970). السلوك لمعرفة دول الملوك. تحقيق: محمد عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية. ط1. بيروت، لبنان.

[16]المقريزي، أحمد بن علي، (1999). إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع. تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي. دار الكتب العلمية. بيروت، لبنان.

[17]المقريزي، أحمد بن علي، (2007). إغاثة الأمة بكشف الغمة. تحقيق: كرم حلمي فرحات. عين للدراسات الاقتصادية والاجتماعية. ط1

[18]الملا، سلوى حامد. (2014). دور القيادة في إدارة الأزمة. إدارة البحوث والدراسات الإسلامية، قطر.

[19]يوسف، وفاء، (2021). آراء المقريزي في التخلف الاقتصادي وأثره على المجتمع (دراسة مقارنة). مجلة الدراسات المستدامة. المجلد (3)، العدد (4). بغداد، العراق.

المراجع الأجنبية :

[1] Zhang, Y., & Wildemuth, B. (2016). Qualitative analysis of content. In Barbara Wildemuth (Ed.), Applications of social research methods to questions in information and library science.

[2] Libraries Unlimited, Westport, Conn.